الصورة الفنية لآيات المعاد في القرآن الكريم

الأستاذ المساعد الدكتور سيد محمد حسين ميري
عضو الهئية العلمية بقسم المعارف الإسلامية، جامعة خوزستان للعلوم الزارعية والمنابع الطبيعية، إيران
miri@asnrukh.ac.ir
الأستاذ المساعد الدكتور عبدالهادي صالحي زاده
عضو الهئية العلمية بقسم المعارف الإسلامية، جامعة خوزستان للعلوم الزارعية والمنابع الطبيعية، إيران
salehizadeh@asnrukh.ac.ir
الباحثة فريدة آل كثير
طالبة ماجستير(المستوى الثالث) فرع التفسير، حوزة الزهراء العلمية دزفول، إيران

Artistic illustration of the Quran in resurrection verses

Seyyed-mohammadhossein Miri
Faculty member and assistant professor of Islamic education group of Agricultural Sciences and Natural Resources University of Khuzestan , Iran
Abdolhadi Salehizadeh
Faculty member and assistant professor of Islamic education group of Agricultural Sciences and Natural Resources University of Khuzestan , Iran
Farideh Alekasir
Master student of Al-Zahra seminary in Dezful , Iran

الملخص:-

مع أنّ القرآن الكريم كتاب الهداية، يحاول في نفس الوقت عرض الطريق وإظهار الحقائق وقد أخذ بقدرة المتلقي ودقته وقدّم تلك المعاني الطويلة والعميقة في شكل الكلمات والتركيبات الخاصة بمساعدة الصناعات الأدبية والبلاغية. تعتبر الصورة من أهم الصناعات التي يخوض فيها القرآن بالاعتماد عليها في نوع من التفاعل أو التصرّف في ذاكرة المتلقي وضميره ويخلق فهماً جديداً ويجعل من الممكن رؤية ما بدا بعيداً، ويضعه ضمن نطاق فهم التصورات البشرية وفي متناول أيديه. يتم تقديم هذه الصورة الفنيّة من خلال الحروف، وأحياناً بالكلمات وفي نص الجملة. إنّ المعاد من العوالم الذي حولتها آيات القرآن الكريم بمساعدة هذه الصورة من عالم مجهول يتعذر الوصول إليه إلى عالم معروف ومتاح للإنسان. تظهر الآيات التي تشير إلى المعاد من نظرة عامّة، حياة ذلك العالم بصفين متقابلين؛ الذين يدخلون بالفوز الجنة والذين يسقطون في الهاوية ويهلكون. إنّ الموضوع الرئيسي في هذا البحث هو أنّ القرآن الكريم كيف يستخدم صناعة الصورة الفنيّة في آيات المعاد، وقد اتخذنا في هذا البحث الطريقة الوصفية التحليلية المعتمدة على بيانات المكتبات وحداثة موضوع الصورة القرآنية والإدراك الجديد من العالم الآخرة هو من النتائج التي استخلصناها من هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الصورة الفنية، المعاني العميقة، الفن، آيات المعاد، الجنّة والجحيم.

Abstract:-

The Holy Qur'an, although a book of guidance, at the same time tries to present the way and show the facts, the capacity and delicacy of the audience and to present those long and deep meanings in the form of special words and constructions with the help of literary and rhetorical industries.. Illustration is one of the most important industries in which the Qur'an, by relying on it, engages or captures in the mind and conscience of the audience, and creates a new understanding and delay in it, with which it is possible to see what seemed to be far away. Terrified and within the scope of understanding and catching human perceptions. This illustration is sometimes presented through letters, sometimes with words and sometimes in the text of the sentence. Resurrection is one of the realms that the verses of the Holy Quran, with the help of this imagery, have transformed it from an unknown and inaccessible world to a world known and accessible to human beings. The verses referring to the resurrection, in a macro view, show the life of that world in two reciprocal arrangements; Those who have entered Paradise with salvation and those who have fallen into Hell with destruction. The main issue of this research is how the Holy Quran benefits from the illustration industry in the verses of the Resurrection, which is a descriptive-analytical method based on the data of organized libraries and the novelty of the Quran illustration and a new understanding of the world leading to its results.

Key words: Imagery, Deep and Deep Meanings, Art, Resurrection Verses, Heaven and Hell.

المقدمة:ـ

تعدّ الصورة الفنية من الأدوات الأكثر فعالية في فكر المتلقّي وتؤثر أيضاً بقوة على الرأي العام. إنّ رسم المشاهد وتصويرها، إذا اقترن بالقوة الإبداعية للمتلقّي في الفهم والإدراك، يكون فعالاً في كل من الفهم الأولى للمعنى وفي إعادة انتاجه وتطويره، ويبدع صوراً خالدة في ذاكرة المتلقّي وقد استخدم القرآن الكريم هذه الطريقة. وقد استخدم القرآن الكريم هذه الطريقة استعراض الكثير من المفاهيم منها مسألة المعاد. إنّ الغرض من إبداع الصورة الفنية للمعاد هو لفت انتباه الجميع إلى جوهر القضية وخلق نزعة جديدة للناس تجاه العالم بعد الموت، وقد تمّ إبداع هذه الصورة بأفضل طريقة. إنّ القرآن الكريم باستخدام كلمات وعبارات تبدو جافة للوهلة الأولى قد أبدع صوراً فنية لا يمكن الاستغناء عنها، حيث تخلب مشاهدها الرائعة والراقية الروح البشرية. يستخدم هذا الكتاب القيم طريقة خلق صور الحقائق الدينية والروحية خاصة في حالة أحداث القيامة، وقد تمكن بإبداع الصور أن يعرض صورة انشاطر البحار، والسماوات والأرض وانهيار الجبال و.. ومكان الجنّة والنّار بشكل ملموس وبذلك يقوم بزرع المعتقدات الإلهية والمعرفة في القلوب التي تبحث عن الحقّ، ويلقي النور علي قلوب الناس وأفئدتهم. إن الصورة الفنية التي يقدمها القرآن عن المعاد تجعل عقل الإنسان المبدع والمصور يتفاعل معها بسهولة. كأنّ الإنسان يشعر بنفسه في تلك البيئة ويرى ذلك بعين خياله. يكمن فن التصوير القرآني في هذه الحقيقة أن تخيل ما كان صعباً على الناس بهذه الطريقة أصبح هذا الأمر سهلاً للغاية وأنقذت الإنسان من الخوض في التخيلات الباطلة. تحاول هذه الدراسة بإبراز الطرق القرآنية المختلفة للفت انتباه الجميع إلى قضية البعث ونزعة الإنسان إلى العالم بعد الموت أن تلقي الضوء علي قضية إعطاء صورة المعاد والجنة والنار التي وردت في القرآن بشكل جيد.

١. عرض الموضوع، الأسئلة والأهداف

تعد الصورة/ استخدام الخيال من أكثر المصطلحات استخداماً في البلاغة وتشير إلى مجموعة من التركيبات اللغوية المستخدمة لتمثيل ووصف الأمور والأفكار المجردة.

إنّ القضية الرئيسة التي شغلت أذهان مؤلفي هذا المقال هي أنّ القرآن الكريم هل يستخدم قوة التصوير واستخدام الأدوات التخيلية في التعبير عن مفاهيمه الصعبة والسهلة

أم لا؟ وبمعنى آخر، هل يستخدم القرآن قوة التصوير في التعبير عن معانيه العميقة خاصةً في القضايا العقائدية كالمعاد وعالم الآخرة، ويقدمها بطريقة يمكن للجميع فهمها؟ أو لا يتوقع أساساً من القرآن أن يقدّم ذلك؟ ولا ينبغي أن نتوقع منه؟ يبدو من خلال البحث والإمعان في فحوي سور القرآن الكريم وآياته أن القرآن قد أتمّ البعض من رسالته في التعبير عن المفاهيم الصعبة كالقضايا المتصلة بالآخرة والمعاد من خلال توظيف ((الصورة الفنيّة)) واستخدام التفاصيل اللغوية والفنية الدقيقة، ومن خلال ذلك تمكّن أن يجعل جميع المفاهيم الصعبة مفهومة وقابلة للتصديق. لذلك، تم تنظيم هذا المقال لمعالجة القضية الرئيسة للبحث من خلال دراسة الأساليب والأدوات التي تساعد على إحياء المفاهيم والرسم الدقيق للمشاهد في القرآن الكريم. وتجدر الإشارة إلى أن الاهتمام الخاص بالقرآن الكريم بتسليط الضوء على صورة المعاد قد وفر مصدراً ملهماً لرجال الدين وتأسيهم بهذه القضيّة الخاصّة من القرآن خاصةً. لذلك، فإن دعاة النور والهداية قد استخدموا دائماً أحرفاً تبدو بسيطة ولكنها عميقة وواسعة وفن إبداع صورة القرآن أن يقوموا بتجسيد المعاني والمعارف الطويلة والعميقة في مختلف الموضوعات. بما أن مصداقية المعاد لها تأثيرات كثيرة على الحياة وتمنح اتجاهاً لأفعال الإنسان ونواياه، وكذلك بمنح الصورة الحقيقية للمعاد والرد على الشكوك يمكن أن يساعد في إعادة إنتاج النظرة الجديدة في هذا المجال، ويسعى إلى شرح إبداع الصورة القرآنية في هذا البحث وتم تنظيم هذا المقال لفهم ضرورة هذا المعنى.

٢. خلفيّة البحث

إن فكرة المعاد وتصديق القيامة فكرة لها تاريخ طويل. تشير البيانات التاريخية إلى معتقدات محددة بين القبائل القديمة حول الآخرة والحياة بعد الموت. لكن فن إبداع صورة المعاد وشموليته اتضح للبشر بوحي الآيات المتعلقة به، وهذه النقطة بالطبع لا تعني إنكار استخدام كهذا الفن في الكتب السماوية السابقة. لقد قام العلماء من القرون الأولى للإسلام بدراسة هذا الكتاب الإلهي من جوانب مختلفة، وأثناء دراسة الكتب البلاغية قد أدركوا الصورة الفنيّة للآيات القرآنية للتعبير عن الأهداف والتوجيهات الدينية. إنّ الجرجاني قد خصّص كتابه ((أسرار البلاغة)) للحديث عن إبداع الصورة. كما في كتابه ((دلايل الاعجاز))، ترتبط الصورة بالبناء أو النظام. وكان يعتقد أنّ للصورة عدة مكونات

وتقوم على أشكال تعبيرية مألوفة كـ: التشبيه والتمثيل والاستعارة وتركيبات أخرى كالتقديم، والتأخير والقصر والإخبار والإنشاء وما شابه ذلك. لقد اعتبر الصورة تمثيلاً وقياساً وأداة للشؤون الروحية في إبداع صورة القضايا المرئية. والزمخشري في كتابه ((تفسير الكشاف)) قد تحدث عن صورة التمثيل. وكان يلحّ على تحليل الصورة القرآنية في جانبها البصري، وربط بلاغة القرآن بأسلوبها التصويري في نقل المعاني الحقيقية والخيالية. يبدو أن أول من درس الصور الفنية للقرآن بين معاصريه هو سيد قطب الذي ألّف كتابه ((التصوير الفني في القرآن)) والذي تُرجم أيضاً إلى اللغة الفارسية وقد اهتمّ فيه بدراسة الصورة الفنية في القرآن وقد وفّر الطريق لكتابة كتب أخرى في هذا المجال. لم يقصر سيد قطب في هذا الكتاب علي الصورة القرآنية في معنى الجملة، بل تحدث عن الصورة في المشهد والصورة في اللوحة. وبعقيدته إن الصورة القرآنية تنسجم مع إطار الطقس العام للسياق القرآني. كما يتضمن كتاب ((مطالعه قرآن به منزله اثر ادبي = دراسة القرآن كعمل أدبي)) مناهج أسلوبية لغوية لمستنصر مير حسين عبد الرؤوف مقالات كتبها في العقدين الأخيرين عن دراسة القرآن من منظور الأدبي و بالطبع القضايا اللغوية. تناولت معظم هذه المقالات القرآن كنص أدبي واعتبر مؤلفو هذه المقالات القرآن كمعجزة لغوية. لذلك، بقبول استحالة تقليد القرآن، قد حاولوا التعبير عن السمات الأدبية والجمالية للقرآن الكريم.

يصف المؤلفون في المقالة الأولى بعض الجوانب الأدبية للقرآن الكريم، كاختيار الكلمات، والصورة، وإبداع الصورة، والإيهام، والكناية، وما إلى ذلك. في المقال الثاني، يتم تحليل القرآن ككتاب مبين ويتمّ ذكر سمات كالاستعارة والتمثيل والتشبيه وجوانب أدبية أخرى للقرآن. في المقال الثالث، باعتبار السورة ككل متماسك، يتابعون مناقشة الموضوع في أربعة أقسام. وقد تطرّق في المقال الرابع إلى عنصر الفكاهة في القرآن. ويتناول المقال الخامس دور الحوار في القرآن. كما أن كتاب ((جلوههايي از هنر تصوير آفريني در قرآن= تجليات من الصورة الفنيَّة في القرآن))، هو عمل بحثي لحميد محمد قاسمي. حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يشير إلى تجليات من فن القرآن الرائع في إخراج وتجسيد المفاهيم وإنشاء صور ذات حيوية وأصيلة، وتقديم نموذج من اللوحات الجميلة والمناظر الخلابة للقرآن امام قرّاء الكتاب السماوي.

وفي هذا المجال، هناك مقال تحت عنوان ((مولفه‌هاي تصوير هنري در قرآن = مكونات الصورة الفنية في القرآن)) للسيد حسين سيدي يقوم فيه بدراسة الصور ومكوناته في القرآن وشرح أمثلة للصور في هذا النص المقدس واستخلص إلى هذه النتائج أن القرآن كنص أدبي قد استخدم جميع آليات اللغة العربية لإيصال الإنسان إلى الأسلوب الروحي. ولكنّ الملاحظة هي أن في أي من المصادر المذكورة، لم يتم تناول موضوع الصورة القرآنية وإبداع الفن في مجال المعاد بطريقة خاصّة وشاملة ومفصلة، وهذا كان الحافز لكتابة هذا المقال.

٣. المفاهيم

٣-١. القرآن لغةً ومصطلحاً

((القرآن)) علي وزن الرجحان والكفران، هو مصدر (ابن منظور،١٤١٤، ٣: ٣١٥.) وبمعني القراءة.

وهو في المصطلح كلام الله الذي أنزله علي خاتم الأنبياء بالعربية ولهجة قريش... وبما أنه يطلق علي الكتاب كله بالقرآن، فإن آية منه أو جزء منها يسمى القرآن. (عسگري،١٤١٦، ١:٢٦١)

٣-٢. المعاد لغةً ومصطلحاً

إنّ المعاد لغةً هو مصدر ميميّ من العود وهو بمعنى الوقت أو موضع العود والعودة، وفي المصطلح يعني العالم الآخر للأشياء وعودتها بعد الموت وبعد تشتت أعضائها. (ابن يوسف، حلي،١٣٧٤: ١٩٩)

٣-٣. الفن لغةً ومصطلحاً

الفن في الأساس هو نفس الصفة كالجمال وفي المصطلح هو تحديد جوهر القوانين العملية المتعلقة بالعمل والتكنولوجيا والمعرفة بدقة وتفصيل أو كيفية القيام بالأمر وفقاً للقواعد والصناعة. (معلوف،١٣٨٤، ١: ٩٩٦-٩٩٥).

٣-٤. الصورة لغةً ومصطلحاً

الصورة لغةً هي الرمز المرئي لكل شيء وكل ما ينتج عن الخيال. (علوش،١٣٦:١٩٨٥)

وفي المصطلح عبارة عن استخدام المفردات والجمل بترتيب دقيق وبطرق فنية ملائمة؛ حيث تقدم معنى ومفهوماً خاصاً في شكل حقيقة حية ومتجسدة، وأثناء إثارة أفكار المتلقي ومشاعره تنقل إليه أيضاً فكرة ورسالة خاصة. بمعنى آخر، إنّ الصورة تعني الكشف عن المعاني بتعابير حية وعاطفية. (الصغير، ١٤١٢: ٢١)

٤. طرق الإبداع الفنّي في القرآن

٤-١. الإبداع الفني باستخدام الحروف والمفردات

٤-١-١. الإبداع الفني باستخدام الحروف

وهنا نشير إلى الحرفين ((علي)) و((في)):

٤-١-١-١. الإبداع الفني باستخدام ((علي))

في الآية الشريفة ((و إنَّك لَعَلي خُلُقٍ عَظيم)) (قلم / ٤). قد صور الله في هذه الآية أسمى الفضائل الأخلاقية لنبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) في صور حقيقية ومحسوسة؛ لأن حرف "علي" يعني السمو والتفوق والسيطرة، ويبدو الأمر أن الفضائل الأخلاقية خاضعة له لدرجة أنه سيطر عليها وأخذها بين يديه حتى يتمكن من التصرّف فيها بأي طريقة يشاء. (محمد قاسمي، ١٣٨٨: ٤١-٤٠)

٤-١-١-٢. الإبداع الفني باستخدام ((في))

في وصف أهل الضلال يقول سبحانه وتعالى:((إنَّا لَنراك في سفاهه.)) (اعراف/ ٦٦) يعبر الحرف حرف ((في)) عن القدرة، ويشير تركيبه في هذا السياق إلى صورة حية لشخص ضال، غارق في الجهل والضلالة، والذي لا يكاد يملك أي بصيرة. (راغب اصفهاني، ١٣٨٧: ٨٦) بمعنى آخر، إنّ استخدام حرف ((في)) في الآية يشير إلى أن الشخص في المنتصف من ساحة الانحراف ولا مجال له للعودة.

٤-١-٢. إبداع الصورة بالمفردات

ومن مظاهر إعجاز القرآن الكريم هو أن الكلمة في بعض الأحيان دون أن ترتبط بكلمات أخرى، وحدها تخلق صورة معبرة ومشهداً رائعاً وبديعاً، وتضع محيطاً من المعاني

في مقياس اللفظ.

ومن الأمثلة العديدة التي يمكن ذكرها للمفردات القرآنية نذكر نموذجين:

٤-١-٢-١. انسلخ

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾؛ (الاعراف/ ١٧٥) إنّ مفردة ((انسلخ)) تعرض حركة حسيّة؛ لأنّ ((انسلخ)) من ((سلخ)) هو بمعنى نزع جلد الحيوان. (اصفهاني، ١٤٢٣: ٤١٩)

وكأن هذه الآيات والمواهب الإلهية التي منحت لمثل هذا الإنسان كانت مرتبطة بلحمه ودمه وبكيانه كله، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه. إنّ الظلال الذي تجعله هذه المفردة في ذهن المتلقّي هي عبارة عن صورة وؤلمة للغاية لا يمكن لأي كلمة أخرى أن تلعب دورها. (قطب، ١٤١٢: ١٣٩٦)

وبحسب رأي المؤلّف فإن انسلخ هنا يشير إلى أن طريق الضلالة والحركة في فيضان الضلال أصعب من السير في طريق الهداية وطريق الفوز والنجاة. ويبدو الأمر كأنّ القرآن الكريم يريد أن يقول إن مثل هذا الشخص أخذ هذه المواهب منا بسهولة أكبر لأن مفردة ((آتينا)) في هذه الآية يمكن أن تدلّ علي تلك السهولة، ولكنه بتحمّل الصعوبة رفض العطية الإلهية وموهبته وأفرغ نفسه من هذه الهبة.

٤-١-٢-٢. نجدين

يقول سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد/١٠) إنّ مفردة ((النجدين)) إنها تصوّر تجليات الخير والشر لجميع البشر في جميع العصور؛ لأن ((النجد)) لغةً تشير إلى الأرض العالية والمرتفعة، وهنا كناية عن الخير والشر وطريق السعادة والقساوة. كأن الله سبحانه وتعالى ليبين الخير والشر بجلاء قد رفعهما ووضعهما في مكانة عالية حتى يراهما جميعاً ويميزوا بين الخير والشر. (سيد رضي، ١٣٣٠: ٢٦٢)

وبحسب رأي المؤلّف فإن مفردة النجدين هنا تشير إلى أن الخير والشر أمام البشر ولهما نفس السلطة على كليهما، وليس أن يبرّر انحرافا بحجة أنه لم يكن على دراية بطريق الخير

وبمعنى آخر، يمكن أن يكون نجدين انعكاساً لمثل هذه الجمل في شكل كلمة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس/٨) أو ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. (الانسان/٣).

٤-٢. استخدام الفنون البلاغية

لقد استخدم القرآن أحياناً طرقاً لتصوير مفاهيم كانت تسمّى بعد نزول القرآن بفترة طويلة بالعلوم البلاغية التي تلعب دوراً رائعاً وسحرياً في تصوير المفاهيم وتجسيد المعاني بما فيه الكناية، والإيجاز، والتشبيه، والتمثيل والإستعارة.

٤-٢-١. التشبيه

قد استخدم القرآن صناعة التشبيه على نطاق واسع، علىو سبيل المثال قد شبه أمواج البحر بشيئين: أحدهما بالجبل في الآية: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود/٤٢)، والآخر كتلات الغيوم الكثيفة في الآية: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (لقمان/٣٢).

إنّ حكمة اختلاف بين هذين التعبيرين هو أن الغرض الوحيد في الآية الأولى هو خلق صورة عظمة أمواج البحر وليس التعبير عن خوف سكان السفينة وفزعهم. لأن في مثل هذا المشهد إن سكان السفينة هم المؤمنون الذين برفقة نوح عليه السلام كانوا تحت حماية الرحمة الإلهية آمنين من لدغة ذلك العذاب الجارف. بمعنى أن حركة السفينة في حالة اصطدامها بأمواج البحر الواسعة التي تبدو كجبل يعتبر أمراً مستحيلاً، وفي مثل هذه الحالات يكون الغرق أمراً لا مفرّ منه؛ لكنّ القرآن يصوّر راكبي سفينة نوح المحفوظة من الغرق. والذين رفضوا الصعود على متن السفينة، ولم يكن متوقعاً أن يغرقوا ولكن فجأة تدفقت المياه من الفرن الذي يجب أن تتدفّق منه النيران، وأغرق المنكرين.

لكن في الآية الثانية، يصور الموجة كالغيوم، وغالباً ما يستخدم هذا التعبير في الحالات التي يوجد فيها موضوع غير سار أيّ ترتفع موجات البحر الهائلة وتحيط بها كأن السحابة ألقت بظلالها فوقهم الظل الرهيب المرعب. (مكارم شيرازي و همكاران، ١٣٧٥، ١٧: ٨٧)

٤-٢-٢. الإستعارة

الاستعارة في مصطلح البلاغة هي نقل العبارة من معناها الحقيقي إلى معنى آخر لغرض

معين، وهو ما قد يعني شرح المعنى وتوضيحه والمبالغة أو الإشارة إلى معنى بلفظ قليل أو تحسين مكانة الكلام وجميع هذه الميزات يمكن رؤيتها في الاستعارة المناسبة. (عسگري، ١٩٧١: ٢٨٢) على سبيل المثال، في الآية ١٧ من سورة فصلت، من أجل تذكير الكفار والمشركين بعذاب قوم ثمود الذين لم يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ، فيصور المشهد المرعب لهلاك أهل ثمود بالصواعق. يقول: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في هذه الاستعارة يُشبه البرق بجيش من المحاربين فإن البرق ((مشبه)) والجيش الكبير ((مشبّه به))؛ لذلك فإن استعارة مكنية وقرينته فعل ((اخذتهم)) التي اجتاحت أرض أهل ثمود وحاصرت أهل المدينة. لدرجة أن كل منهم وقع في العقاب الإلهي ولا يستطيع أحد الهروب من هذا الجيش. وكما يبدو أن المشاهد في هذه الصورة تحتوي على نوع من الخيال البديع. لأن نزول الصواعق على هؤلاء الأشرار يشبه حركة عسكرية ضخمة، وهو أمر لا يمكن إلاّ بالخيال. (سيدي و خلف، ١٣٩٢: ٣٤)

من النقاط الدقيقة في هذه الاستعارة القرآنية الرائعة أنه وفقاً للعادات الشائعة، إن غزو الجيش المدمّر دائماً ما يكون وجهاً لوجه وعلي وجه الأرض وتعتبر مواجهة الإنسان مع جيش مرعب من أعلى الرأس أمراً غير معتاد ولا يتوقّع. فإنّ القرآن الكريم هكذا يصوّر أنه بالنسبة للمضطهدين هناك دائماً عدد كبير من الجيوش غير المرئية تنزل عليهم من فوق رؤسهم.

٥. نماذج من الصور الفنيّة لآيات المعاد

٥-١. صورة من المعاد في القرآن الكريم

٥-١-١. التعبير عن قدرة الله في إحياء الموتي

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس/٧٨-٧٩) لقد صور قدرته على إحياء الموتى بشكل جيد. أما الصورة الفنية في الآية قد تّمت بقطعة من العظم البالي احتجاجاً على فكرة البعث وحياة الأموات. لم يظهر القرآن الكريم الجسد المحنط ويسأل عن كيفية إحياءه بعد موته. بل يردّ علي المحتجّ بأقوي دليل حسيّ وتجريبيّ. فإنّ الله سبحانه وتعالى يظهر قوته بهذه القطعة

البالية من العظم، ويقول إن الإنسان لم يكن كهذا العظم البالي قبل أن يولد، وأن الله خلقه من اللا شيء. فإنّ الله الذي يستطيع أن يخلق من اللاشيء سيتمكن من إحياء العظم البالي - الذي هو كائن وليس اللاشيء.

٥-١-٢. نماذج موضوعية عن المعاد في الطبيعة والتاريخ

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت/ ٣٩) هذه الآية تحيل الناس إلى الطبيعة وتكاثرها لفهم كيفية القيامة ولكنها أحياناً تشير إلى أحداث تاريخية. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة، ٢٥٩) كيف يقوم المهندسون المعماريون ببناء نماذج أولية لتزويد المشاهد بمنظر للمبنى الرائد. فتصوّر قصة عزير النبي أيضاً نموذجاً للقيامة للقارئ الذكي.

٥-٢. صور من الموت والنقل إلى العالم الآخرة

يصور القرآن الكريم حقيقة النقل من الدنيا على النحو التالي:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران/ ١٨٥) إنّ تذوق الموت في هذه الآية أمر ممتع للغاية. يبدو الأمر كما لو أن هناك مناهل في الصورة يعتقد البعض أنه لا يمكن للجميع الشرب منها. يقول القرآن الكريم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. ما يتبين في الآية غير تعميم الحكم هو مرور الوقت أي يقول سبحانه وتعالى أنكم وإن لم تشربوا شراب الموت في وقت واحد ولكنّكم ستتذوقونه جميعاً، وهذه النقطة تدل على أنّ الإنسان مترصّد للموت دائماً.

٥-٢-١. صورة احتضار النّاس عند الموت

﴿... إذا بَلَغَت الحلقُوم﴾ (الواقعة/ ٨٣) في هذه الآية الكريمة، إن وصول الروح إلى الحلقوم هو كناية دقيقة عن اقتراب موعد مغادرة الروح الجسد، كأنّ الروح ستخرج منه

لبضع لحظات. (محمد قاسمي: ١٤٤) في هذه الصورة القرآنية كأنّ الروح تتجسد وتشعر حركتها حتى وصولها إلى الحلقوم بوضوح. (قطب،٢٠٠٢: ٧٠) وبتعبير أوضح فإن القرآن الكريم يشير إلى وعي الإنسان بذاته لحظة موته وعروجه، أي موت الإنسان، وإن كان يأتي إليه الموت في وقت إهماله ولكن الإنسان يواجه الموت بوعي. كمن يسير بلا مبالاة في الصحراء، ولكن عندما يرى حيواناً مفترساً فإنه يدرك هذا اللقاء والإصطدام.

٥-٢-٢. صورة حيّة من حشر الناس في القيامة

يكشف القرآن في آيات كثيرة أنه في عشية يوم القيامة، بالإضافة إلى البعث العظيم الذي يحدث في الكون والسماوات والأرض، يصور حشر الناس بمناظر حية. وعندما يأتي يوم القيامة ويوم البعث وينفخ في الصور، تظهر حركة في عالم الموتى ويكسو التراب والعظام البالية الحياة بأمر الله، ويستيقظ جماهير الناس من أولّهم إلى آخرهم في آونة، ويندفعون من فراشهم إلى صحراء الحشر مذهلين.

(محمد قاسمي: ١٤٧) وإنهم مذهلين لدرجة أنهم يسألون: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ (يس/ ٥٢) ولكن سؤالهم: ((مَن بعثنا من مرقدنا)) يبقي بلا جواب، ولكن يأتي الجواب على الفور: ((هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون)) حتى تُطبع الإجابة في الذاكرة بعد تلقي الصورة الحسية للفناء والقيامة. (راغب، ١٣٨٧: ٤٢٤) لكن عندما ينتبهون إلى أنفسهم، يتذكرون أن الأنبياء الصديقين قد وعدوهم في الدنيا بمثل هذا اليوم، والآن قد أتى ذلك اليوم.

٥-٣. صورة العالم عشيّة القيامة

٥-٣-١. إنطواء السماء أو مشهد انشطار السماء

في سورة الأنبياء، يشبه القرآن انطواء السماء ودمارها يوم القيامة بإنطواء الكتب: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (الانبياء/ ١٠٤)

في قديم الأيام كانت الأوراق التي تشبه اللفائف تستخدم لكتابة الحروف والكتب، وكانت هذه اللفائف تُلف مع بعضها قبل الكتابة، وكان يفتحها الناسخ تدريجياً من بعض

أطرافها وكان يكتب عليها، وبعد نهاية الكتاب يقوم بلفه ويضعه جانباً، فكانت رسائلهم وكتبهم على شكل لفائف. كانت هذه اللفيفة تسمى "السجل" الذي تم استخدامه للكتابة. في هذه الآية، هناك تشبيه دقيق لإجتياح لفائف الكون في نهاية العالم. فهذه اللفائف مفتوحة الآن ويقرأ جميع تصميماتها وخطوطها وكل شيء يكون في مكانه. وعندما يأتي أمر القيامة فهذه اللفافة الضخمة بكل ما فيها من الخطوط والرسوم تتشابك. وطبعاً، التواء العالم لا يعني فناءه كما يعتقد البعض بل هو بمعنى تشابكه وانطواءه.

٥-٣-٢. صورة انهيار الجبال

تم تصوير انهيار الجبال على ثماني مراحل:

٥-٣-٢-١. ترتجف: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ (المزمل/ ١٤)

٥-٣-٢-٢. تنقلع: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة/ ١٤)

٥-٣-٢-٣. تسير وتتحرّك: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (الطور/١٠)

٥-٣-٢-٤. تتهدّم: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة/ ١٤)

٥-٣-٢-٥. تتبدّل إلى كتلة من الرمال الكثيفة: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ (المزمل/١٤)

٥-٣-٢-٦. تتبعثر علي شكل غبار: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ (الواقعة/٦و٥)

٥-٣-٢-٧. تتحوّل إلى صوف منفوش يتحرك مع الريح ويمكن رؤيتها كلون في السماء: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (القارعة/ ٥)

٥-٣-٢-٨. يبقى منها شبح كالسراب في صحراء قاحلة: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبأ/ ٢٠)

إذا تم استخدام مسمار لتثبيت اللوحة، فستتم إزالة اللوحة عند إزالة الظفر. والقرآن يسمي الجبال بمسامير الأرض: والحلم أنه إذا هلكت المسامير يقين هلاك الأرض، وخلف صورة تحول الجبال عشية يوم الدين، منظر تدمير الأرض مذهل.

اگـر براي نصب تـابلو، از ميخ استفاده شـود، بـا كنـده شـدن ميخ، تـابلو نيـز كنـده خواهد شد. قرآن، كوهها را ميخ زمين مي‌خواند: والحيال اوتاداً، وقتي ميخ نابود شـود، نابودي زمين حتمي است و در پس تصوير دگـرگـوني كوهها در آستانه قيامت، منظره نابودي زمين، ديدني است.

٥-٣-٣. مشهد تأجيج البحار

في هذا المجال يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار/ ٦) قد استخدمت مفردة ((فُجِّرَتْ)) من مادّة (فجر) بمعنى الإنشطار وهو قد يشير إلى الإنفجار واشتعال البحار.

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير/ ٦) إنّ ((السجر)) قد جاء بمعنى إشعال النار، وتكثيفها، وقلي الموقد، وإلقاء الحطب في النار. (قرشي، ١٣٦١، ٣: ٢٣٢) ولكن لماذا يجب أن تشتعل النيران في البحر - الذي هو تقليدياً وعادة ما يكون مطفئاً للحريق؟ يمكن إعطاء العديد من الإجابات، ولكن من ضمن هذه الإجابات هو تحقيق الأمور المستحيلة العادية. أي أن الصور تقول أن ما يفترضه الإنسان محدوداً ومستحيلاً سيحدث بلا شك وهذا يشير إلى قدرة الله.

٦. الإبداع الفني القرآني للجنّة والنار

٦-١. صورة جميلة من الجنّة وأهل الجنة

٦-١-١. موضع الجنّة

يختلف المفسرون ومفكروا الدين حول مكان الجنة الأبدية. يعتقد البعض أن هناك فردوساً أبدياً في الجنة. ويعتقد البعض من نفس المجموعة أنها في السماء السابعة، وقال آخرون إنها فوق السماء السابعة وتحت العرش. ولعل هذا القول يمكن قبوله باستناد إلى بعض الآيات. على سبيل المثال يقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الاعراف/ ٤٠)

في هذه الآية ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾، التي تذكر من بعدها جملة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ كأن الجنة في السماء ومعنى عدم فتح أبواب السماء هو عدم فتح أبواب الجنة للكفار. بالطبع، اعتبر البعض عدم فتح أبواب الجنة بمعنى عدم قبول الدعاء. يقول العلامة الطباطبائي: ((الظاهر من كلام الله أن الجنة في السماء)). (طباطبايي، ١٣٩٧، ٨: ١١٥)

٦-١-٢. سعة الجنّة

لكن تصوّر الآية أن السماء تقع في الأعلي وتحيط بالإنسان وهو مكان الغيث وفي الحقيقة النعم الإلهية، كأن السماء فوق الإنسان وتسيطر عليه، والإنسان يريد الهروب منها ويتجه إلى مكان آخر. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/ ١٣٣)

إذا ورد في القرآن الكريم أنّ اتساع الجنة باتساع السماوات والأرض، فربما يكون سبب ذلك أن الإنسان لا يعرف شيئاً أكبر من السماء والأرض والمجرة ليستعمل مقياساً لهذا الأمر، ومن هنا قد شبّه القرآن سعة الجنّة بسعة السماء والأرض لأن العقل البشري لم يستطع أن يتخيل أكثر من ذلك. (مكارم شيرازي و همكاران، ١٣٧٥، ٣: ٩٥)

٦-١-٣. عمر أهل الجنّة

ليس لدينا آية محددة عن عمر أهل الجنّة، ولكن تمت مناقشة هذا الموضوع في بعض الروايات، منها قد نقل أبو هريرة عن النبي ﷺ: ((يَدخُلُ أهلُ الجنّةِ جُرْدا مُرْدا مُكَحَّلِينَ، أبناءَ ثلاثينَ أو ثلاث و ثلاثينَ)). (بهروزي، ١٣٨٨: ٥٩) ومن ذلك تلك المرأة العجوز التي جاءت إلى النبي ﷺ تسأله أن يدعو لها بدخول الجنة، فما كان من النبي ﷺ إلا أن قال لها: ((لا يدخل الجنة عجوز)) فولت العجوز وهي تبكي، فقال رسول الله ﷺ: أخبروها: ليست يومئذ بعجوز، وأنها يومئذ شابة. إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فجعلناهن أبكاراً، عرباً أترابا﴾.

٦-١-٤. زوجات أهل الجنّة

بما أن الشباب هو فترة النضارة حيث تقل فيه العيوب والملل، فإن هذه الصورة تريد أن

تظهر أهل الجنة بكلّ نضارة. فإن زوجات الجنة طاهرات لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، ولا يفكرن في غيرهم؛ جميعهن صغيرات السن وفي نفس عمر أزواجهن: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾. (الدخان/ ٥٤)

بما أنّ جمال الإنسان يبرز في عينيه فهذه الآية تصف عيون حور العين الجميلة. وأيضاً، يمكن أن يكون انعكاس صورة أهل الجنّة في هذه العيون الكبيرة فلسفة هذا الإبداع الفني. تُظهر الصورة أيضاً جمال الحوريات ذوات العيون السوداء والشابات والعذارى البكر و... ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ (النبأ/٣١-٣٣) يتكرر هذا الموضوع بطريقة أخرى في آيات من القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾؛ (الواقعة/ ٣٥-٣٧.)

تعدد الروايات التفسيرية لهذه الآية العديد من الصفات الحسنة لزوجات الجنة، والتي يمكن أن تكون أيضاً إشارة إلى الصفات العظيمة لنساء العالم ويمكن اعتبارها نموذجاً لجميع النساء. منها طيب الكلام، والطهارة، وعدم إيذاء، والغض من النظر وما شابه ذلك. (مكارم شيرازي و همكاران،١٣٧٥، ٢٣: ١٨٢)

٦-٢. صور من حالات النار وأهلها من منظور القرآن

٦-٢-١. دركات الجحيم وأبوابها

ليس للجحيم باب بل له أبواب، لكن هذا التعدد في الأبواب لا يعني أنه إذا أراد جميع أهل النار أن يدخلوا من باب واحد لايسبب ذلك أي صعوبة، كما أن هذا الأمر لم يكن بسبب المسافة وليس له جانب احتفالي بل هذه الأبواب في الحقيقة هي أبواب الذنوب التي يدخل بها المجرمون الجحيم، وهي تشير إلى العوامل المختلفة التي تقود الإنسان إلى الجحيم، ويعتبر أي ذنب من الذنوب باباً: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر/ ٤٤)؛ لذلك فإن مرتكبي كل خطيئة سيدخلون الجحيم من خلال بابها الخاص (أي من مكان تلك الخطيئة)، وفي الواقع كما تختلف الأعمال البشرية، فإن فئات المجرمين والكفار مختلفة، وعقابهم أيضاً سيكون مختلفاً في العالم الآخر. (زكي زاده رناني، ١٣٨٦: ٧٧-٧٦.) لكن عن أي شيء تريد أن تتكلّم هذه الصورة؟ ويمكن القول أن الآية تدل على كثرة

أهل النار، فهي انعكاس للإنذار الإلهي. يمكن أن يشير ((جزء مقسوم)) أيضًا إلى إختلاف درجة العذاب. كما أنه يريد أيضاً ألم يكن عباد الله بإغلاقهم أحد هذه الأبواب أن يطمئنوا تماماً من الفوز والنجاح، إلا إذا أغلقوا علي أنفسهم جميع أبواب الجحيم.

٦-٢-٢. وقود نار جهنّم

لم تكن تكن نيران الجحيم عادية. إنّ نيرانها تستعر باستمرار ويتزايد لهيبها لحظة بعد لحظة. النيران التي تهيأت هناك ليست كنيران هذا العالم لان وقودها الحجر والناس وبهم تستعر. كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ ٢٤).

يقول العلامة الطباطبايي في تفسير هذه الآية: هم الكفرة الذين يصلون نار جهنم بالنار التي أشعلوها بأعمالهم. كما أن الجنة تجسيد لأعمال المؤمني، فإن الجحيم ونيرانها تجسيد لسيئات الكفار. لذلك، في الواقع، يتسبب أهل الجحيم بأنفسهم في اشتعال نار الجحيم، وتعذبهم النار التي يشعلونها من أعمالهم وهي تنبعث من أنفسهم. (طباطبايي،١: ١٢٨)

٦-٢-٣. العذاب الجسدي والروحي لأهل الجحيم

إنّ الصورة التي تظهرها الآية هي أن النار التي تحرق أهل الجحيم هي نتيجة أعمال المجرمين، وفي الواقع إنهم أشعلوا النار في أنفسهم. إنّ سلوكهم الناري قد تسبب في تحولهم إلى مثيري النار. وبالطبع، فقد عاش العرب تجربة إحراق الحجر عندما خاطبهم الله بهذه الآية. يريد القرآن أن يقول إن الإنسان أحياناً يصبح حجراً يمكن إشعال النار به نتيجة انحرافه وانغماسه في المهالك.

٦-٢-٣-١. الأطعمة والمشروبات السيئة

يُعطى آكلو الجحيم طعاماً سيئاً للغاية ومشروبات مُرّة، والتي لا تمنحهم اللذة وهي لا تُغني من الجوع أو العطش فحسب، بل تزيد من عذابهم أيضاً: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (الغاشية/ ١-٧)

تبدأ الصورة بالتساؤل وتحفيز العقل وصنع الصور التأملية المروعة في مشهد العذا؛ لأنه يستوعب الناس بخوفه ثم يعرض صور العذاب بإعطاء تفاصيل ليلقي الأثر والخوف من عذاب الله.

لطالما كانت الينابيع الباردة ضآلة الإنسان خاصة في الصحاري. يصور القرآن الكريم، بالمناسبة نفس الصحراء بهذه العبارة أنه ليس بها ينبوع بارد فحسب، بل بها أيضاً ينابيع حارة بجوار الأشواك الجافة.

تم تجميع مجموعة متنوعة من الصور الحسية الملموسة لإلتهاب النيران وتذوقها في الطعام والشراب في مواصلة التعذيب المستمر والألم معاً في هذه الآية.

إنّ هذه الصور تلحّ على عذاب الجسد الحسي في الطعام والشراب والنار. كما تلحّ على العذاب النفسي في الذل الذي تمّ رسمه على الوجوه من كثرة العذاب وأنواعه واستمراره. (احمد الراغب،١٣٨٧: ٤٦٦)

إنّه طعام كالضريع الذي يأكله أهل النار [منذ سنين طويلة يصرخون من شدّة الجوع] بأن يعطوهم الطعام، وهو منتن الريح وشرّ طعام وأبشعه ولا تقربه دابة ولا ترعاه بهيمة، وربما تسميته ما في النار بهذا الاسم هو مجرد التشابه في شكله وخصائصه. (علي آبادي، ١٣٩٣: ٥٠)

وأيضاً الزقوم (الفاكهة المرة) هي أيضا من أقسى أنواع العذاب ويصور الله هذا الطعام من خلال شجرة الزقوم الغريبة التي تنبت في الجحيم. وهذه الثمرة أيضا غريبة الشكل وتشبه رأس الشيطان. كما أنها غريبة في قدرة تأثيرها على بطون الكفار. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (صافات/ ٦٣-٦٨)

ترتبط الصورة بالزقوم (الثمرة المرة)، وهي ترسم في الخطوط والشكل والحركة لإدراك الأثر النفسي. شجرة الزقوم تنبت في الجحيم، لكنها لا تستعر فيها النيران. كما أن أزهارها الغريبة تشبه رؤوس الشياطين. كما أن رأس الشيطان غير مرئي ولكن المخيلة تقدم صورته القبيحة.

والطعام الآخر هو ((الغسلين))، وهو صديد يخرج من جلد أهل النار عندما يصلون. يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة/ ٣٥-٣٧)؛ هم‌چنين مي‌فرمايد: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ (ص/٥٧-٥٨) وشرابهم: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد/ ١٥)؛ حيث أنها تؤثر على الوجوه وتحرقها بسبب حرارتها. والحميم هو الماء الساخن الذي إذا ألقي إناء منه في بحار هذا العالم فسوف يحولها جميعاً إلى سم.

يعطَي إناءً منه للكافر فيسقط في ذلك الإناء كل ما في وجهه من لحم وجلد وعين وأنف. فيقول سبحانه وتعالى: (علي آبادي،١٣٩٣: ٥٤.) فيقول سبحانه وتعالى: ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (الكهف/ ٢٩)

يذكر القرآن مشروبات أخرى لأهل النار. بما في ذلك ماء الصديد والعين الآنية... فإنّ هذه الصور الحسية مع العلاقات بينها تصور أشد العذاب بحيث تكون مفهومة وقريبة للذاكرة و لكن عذاب الله أصعب وأشد من هذه الصور الحسية. (احمد الراغب، ١٣٧٨: ٤٦٨).

٦-٢-٣-٢. الإبتعاد عن رحمة الله

لا شك ولا ريب أن أعظم البؤس والعذاب الروحي لأهل الجحيم هو حرمانهم من نعم الله تعالى وبركاته الخاصة. إنهم يحرمون من النعم العظيمة في عرش الله ورؤية جماله، كما يحرمون من رؤية الحق، ويتعرضون لعذابه وغضبه، وأي عذاب يكون أعظم وأكثر إيلاماً من هذا: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين/ ١٥)

قد طمست النكبات والعصيان والخطايا علي قلوبهم وحرمتهم من معرفة ربهم؛ لذلك فإن الغاية الطبيعية والعقاب الذي يكون وفقاً لأفعالهم وسلوكهم هو أن يحرموا من النظر إلى ذات الله، وأن يكون حاجزاً بينهم وبين هذه السعادة العظيمة. ذلك النعيم العظيم الذي يمنحه التمتع بالحياة الدنيوية، وكلما يتمّ فرض ضغوط مختلفة على الشخص ويصبح عاجزاً تماماً، غالبًا ما يقال له لمنح الأمل والتحفيز: يوجد إله، فلا تيأس من رحمته. تظهر هذه الآية وآيات مثلها ذروة قنوط المجرمين في الجحيم الذين لا ملاذ لهم ولا عاصم. ولا يعطى لأحد

منها إلا أن تكون روحه صافية ورقيقة وطاهرة، وتستحق أن ينزع الستار بينه وبين ربه. (سيد قطب، ٢٩-٦: ٧٧٦)

وقد وصف هؤلاء في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة/ ٢٢)

فكلما حرم الإنسان من المصدر الوحيد للنعمة الإلهية، فقد بالتأكيد صفاته التي تخص بالإنسان النبيل، فيسقط ويستحق به الجحيم. (سيد قطب، ٦، ١٣٨٦: ٧٦٧.) ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ (المطففين/ ١٦)

نتيجة البحث:

إنّ القرآن الكريم باستخدامه المضامين الرائعة فهو كالمثل الذي لا يتكرر عبر التاريخ، فهو من حيث الألفاظ والبنية واستخدام الصناعات الأدبية والبلاغية، يعتبر نصاً خاصاً وهو أكثر وضوحاً وهو النطاق الواسع الذي تمكنت فيه النظرة الجديدة أن تأخذ المتلقي الواعي إلى زوايا جديدة من النص والمعنى. إنّ القرآن الكريم يتفاعل مع عقل المتلقي وضميره في تقديم المعنى أي أنه ينفذ في المخيلة البشرية ويقدم شكلاً وفهماً جديداً للمعنى في خلق الصورة، حيث يمكن تتبع هذه الصورة في الآيات التي ترتبط بالقيامة والمعاد. وبعبارة أخرى، فإن القرآن الكريم باستخدام الصور الحسية والتخيلية يصور المعاني العقلية، والحالات الداخلية، والأحداث الملموسة، وما إلى ذلك بشكل جميل وواضح في شكل الألفاظ والمفاهيم الطويلة والمادية، كأنّ المرء يشعر بنفسه في تلك البيئة ويرى ذلك بكل كيانه.

يعود استخدام الصورة الفنيّة القرآنية إلى هذه الحقيقة أن الإنسان يحاول بشكل طبيعي أن يصل بنفسه إلى مفاهيم يتعذر الوصول إليها من خلال هذه الطريقة. لهذا السبب، ولإيضاح المعني والتعبير عنه وفي النهاية لجعله أكثر فاعلية على الناس، ولتحفيز قلوبهم، ومن خلال إيقاظ حواسهم وخيالهم، قد استخدم القرآن الكريم طريقة رسم الآيات وتصويرها، ليصبح هذا الأمر ممتعاً وجذاباً لهم وباستخدامه يتمّ التعميق وخلق العلاقة الجديدة بينهم وبين المفاهيم. لذلك، فإن هذا النوع من إنشاء الصور له تأثير كبير على فكر المتلقي وذاكرته. فبهذه الصور، إنّ القرآن الكريم قد بلغ القيامة من العالم البعيد إلى عالم

العقل البشري واستطاع أن يصور القيامة بطريقة يمكن فهمها بما يتناسب مع العقل البشري، بحيث يكون لها أثر نفسي يمكن أن يتحقق ويشعر بالقيامة.

وحيثما يلقي القرآن نظرة إلى القيامة فإنه يربط العقل البشري بصورة جديدة. بمعنى أنه يقدم القيامة على أنها حياة ذلك العالم الذي يتعامل فيه الإنسان مع استمرارية حياة هذا العالم، مع اختلافات ومسافات والتي مع تشابهها مع حياة هذا العالم، ستكون مختلفة تماماً عنها. الصورة التي تعرض من الجنّة هي مكانها ونعماءها وزوجات أهل الجنّة ونضارة أهلها وما شابه ذلك؛ من ناحية، وأمّا صورة أهل النّار وعذاباتهم ونوع أطعمتهم والأبواب التي ألقيت في الجحيم من جانب آخر، مع جاذبية هذه الصورة وبلاغتها تشير جيداً إلى حياة أهل الجنة وأهل النّار في حياة ذلك العالم.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دارالفكر، چاپ سوم، ١٤١٤ ق.

٢. ابوالحسن، محمد بن الحسين سيد رضي، تلخيص البيان عن الجازات القرآن، ترجمه سيد محمد باقر سبزواري، تهران: انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٣٠.

٣. احمد الرغب، عبد السلام، كار كرد تصوير هنري در قرآن، مترجم سيد حسين سيري، تهران: سخن، ١٣٨٧.

٤. اصفهاني، راغب، المفردات الفاظ القرآن، قم: ذوي القربي، چاپ دوم، ١٤٢٣ ق.

٥. بهروزي، صمد، سيماي بهشت جهنم از منظر آيات و روايات، رسالت يعقوبي، ١٣٨٨.

٦. حلي، حسن بن يوسف، كشف المرادفي شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق حسن حسن‌زاده آملي، قم: انتشارات اسلامي، ١٣٧٤.

٧. زكي زاده رناني، عليرضا، جهنم كمين‌گاه بزرگ، قم: ديوان، چاپ شانزدهم، ١٣٨٦.

٨. سعيدي مهر، محمد، آموزش كلاس اسلامي (٢)، راهنماشناسي، معادشناسي، قم: كتاب طه، ١٣٨٦.

٩. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دارالشروق، طبعه العاشره، ١٤٠٨ ق.

١٠. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، قاهره، دارالشروق، ٢٠٠٢ م.

١١. سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، بيروت، قاهره، چاپ هفدهم، ١٤١٢ ق.

١٢. سيد قطب، في ظلال القرآن، ترجمه دكتر مصطفي خرمدل، تهران: احسان، چاپ دوم، ١٣٨٦.

١٣. سيدي،سيد حسين و خلف، حسن ((تحليل زيبايي‌شناختي تصويرهاي هنري در قرآن))، پژوهش هاي ادبي - قرآني، ١٣٩٢، شماره ٢.

١٤. طباطبايي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تهران، دارالكتاب الاسلاميه، ١٣٩٧.

١٥. عسگري، مرتضي، القرآن الكريم و روايات المدرستين، تهران: مجمع العلمي الاسلامي، چاپ دوم، ١٤١٦ ق.

١٦. علوش، سعيد، معجم المصطلحات الادبيه المعاصره، بيروت: دارالكتاب البناني، ١٩٨٥ م.

١٧. علي الصغير، محمد حسين، الصوره الفنيه في المثل القرآني، بيروت: دارالمورخ العربي، ١٤١٢ ق.

١٨. علي آبادي، رضا، جهنم و جهنميان، تهران: هنارس، ١٣٩٣.

١٩. قرشي، علي اكبر، قاموس قرآن، تهران: درالكتب الاسلاميه، چاپ سوم، ١٣٦١.

٢٠. محمد قاسمي، حميد، جلوه‌هايي از هنر تصويرآفريني در قرآن، تهران، انتشارات علمي و فرهنگي، ١٣٨٧.

٢١. معلوف، لويس، المنجد عربي به فارسي، مترجم بندرريگي، ايران، چاپ پنجم، ١٣٨٤.

٢٢. مكارم شيرازي، ناصر و ديگران، تفسير نمونه، تهران: دارالكتب الاسلاميه، ١٣٧٥.